

الهوميوباثي يفرض وجوده بنتائجها الباهرة

كتب الدكتور حسن محمد صندوقجي في (صحيفة الحياة العربية) في العدد 281 للسنة الثامنة الصادر في 12 يوليو 2007م مقالا بعنوان (الهوميوباثي ... وسيلة علاجية لم يثبت العلم جدواها). أشكر أولا للدكتور حسن إثارته لموضوع الهوميوباثي الذي لم يطرح حتى الآن على الجالية العربية في كندا بالقدر الكافي، وإنه لتقصير مني أن أدرس هذا العلم في عدة كليات للطب الطبيعي ولا أنقله إلى الصحافة والاعلام العربي، وسوف أعالج الموضوع هنا من خلال التعليق على ماجاء في مقال الدكتور حسن.

ذكر الدكتور حسن: أن المعالجة بالهوميوباثي هي باعطاء المريض الذي تبدو عليه أعراض ومظاهر ذلك المرض جرعات قليلة ومخفضة جدا من مواد تؤدي حال تناولها من قبل إنسان سليم إلى ظهور أعراض مشابهة لتتي تبدو على المريض الذي يشكو من ذلك المرض.

والحقيقة أن إعطاء جرعات قليلة ومخفضة جدا لا تسمى معالجة بالهوميوباثي، الا اذا تم تحضيرها بطريقة خاصة تسمى (داينمايزيشن Dynamization) يتم فيها هز جزئيات المادة عشرات بل ومئات المرات قبل تمديدها في كل مرة، وهناك معامل ومختبرات لهذا الامر في فرنسا والمانيا وبلجيكا تقوم بهذا العمل الذي يستحيل أن يتم يدويا. أما التمديد بدون الحركة الديناميكية، فانه يعني انعدام المادة وبالتالي انعدام الاثر.

يقول الدكتور حسن أن الطبيب الالماني الذي اخترع الهوميوباثي تكلم في عفن الابخرة والعلاقة المغناطيسية (Magnet Communication) وأنها تعليقات نظرية فلسفية لايمكن قبولها على أرض الواقع العلمي.

إن النظرية التي وضعها د. هانيمان الالماني مخترع الهوميوباثي، لايمكن أن تترجم (عفن الابخرة)، وليس هناك أي رابط بينها وبين عفن الابخرة ... إنها نظرية تقوم على تقسيم الناس على المستوى العقلي والشعوري والفيزيائي إلى ثلاثة أقسام كل منها يسمى (Miasm) مع إيجاد الروابط بين الصورة النفسية والصورة الفيزيائية والمرضية للإنسان حيث الانسان وحدة متكاملة لايمكن تقسيمها وهذا مثال مبسط جدا على ذلك.

طالب رسب بالامتحان وكان رد الفعل أن هذه تجربة فاشلة في الحياة ولكن المفروض أن الحياة مازالت مفتوحة ورغم ألم رسوب الطالب فان الطالب يقرر أن يدخل الامتحان ثانية مع الأمل الكبير بالنجاح.

وطالب ثاني رسب في الامتحان ورد الفعل كله بان هذه تجربة مؤسفة جعلته يفقد الثقة في نفسه ولا يريد أن يطلع الناس على هذه النتيجة المخزية ويحاول الطالب أن لايطلع أحد على الامر وأن يحبس مشاعره في نفسه ويشعر بالاحباط والانكماش.

وطالب ثالث رسب في الامتحان وإذا بردود الافعال تكون عنيفة ومخربة فيشعر أن هذه هي نهاية العالم وأنه لا أمل بعد اليوم ويفكر في الانتحار أو في تدمير الآخرين. ومن هذه الامثلة فاننا نجد أن مواقف الناس تجاه أحداث الحياة تجعلنا أكثر فهما لشكاويهم وأمراضهم، فمثلا النوع الاول يكون عرضة للاصابة بامراض دورية تأتي وتختفي مثل حساسية الربيع (Hayfeve) أو الاكزما الجلدية أو أمراض تنابوية حيث يظهر مرض ثم يختفي ثم يظهر غيره ثم يختفي وهكذا.

والنوع الثاني عرضة للاصابة بامراض تتركز أكثر في موقع واحد مثل التهاب الاذن الوسطى المزمن أو التهاب المثانة المزمن ... وهكذا. النوع الثالث أكثر عرضة للاصابة بامراض مخربة (Destructive) مثل السرطان أو السكري في سن مبكر أو الصدفية ... وغيرها.

هذا العرض أقل من بسيط لأنه بالحقيقة يوجد لكل قسم من هذه الاقسام فروع عديدة ومدخلات كثيرة، وهذا الفهم يساعدنا على التوجه إلى أدوية معينة لها نفس ال (Miasm) أما العلاقة المغناطيسية فلم يتكلم عنها الدكتور الالماني هانيمان وإنما هي ممارسات من جهات اخرى. يقول الدكتور حسن أن الادلة العلمية غير كافية لاثبات جدوى هذا الاسلوب العلاجي، وهنا يوجد نقطتين جديرتين بالبحث:

1- كيفية تأثير الدواء Mechanism of action

2- دراسات وأبحاث عن جدوى استعمال الدواء

فاذا كان المقصود هو الاول فانني أحترم ذلك الرأي لانه لا يوجد حتى الآن تفسير علمي شافي عن طريقة عمل أدوية الهوميوباثي حيث أن عملية التمديد مع التحريك الديناميكي يجعل المعلومات المتعلقة بالمادة تنقل خلال هذه العملية Code of information ومع ذلك فهذا ليس كافيا على المستوى العلمي، أما إذا كان المقصود هو الثاني فان جدوى الدواء يعتمد على دراسات تعكس النتائج على المريض، ولا أريد أن يكون نجاحي مع كثير من المرضى هو الشاهد هنا ولكن أدعو القارئ إلى قراءة بعض الابحاث في موقع www.boiron.com والتركيز على قسم Research أما الاحصاءات التي أتى بها الدكتور حسن والتي تمت في عام 1994م والتي تؤكد وجود نسبة عالية تتعالج بالهوميوباثي في الدنمارك وفرنسا وهولندا فانني أضيف إليها أن الاقبال يزيد ولا ينقص وهذا ما دعى الحكومة الكندية مؤخرا إلى جعل الهوميوباثي معترفا به بتاريخ الرابع من يوليو 2007م بالقرار Bill#171

وعلى ذكر التفاسير العلمية لكيفية عمل العلاجات أود أن أذكر أن الوخز بالابر الصينية رغم عمره الطويل (أكثر من أربعمئة سنة) كان لوقت قريب جدا غير معترف به علميا حيث لا توجد أية مادة دوائية في الابر، ولكن الحالات السريرية تؤكد منافع هذه الابر، ومجددا بدأت بعض الابحاث تظهر وتؤكد وجود مفرزات من الدماغ بسبب هذا الوخز مثل Endorphins علما بان التفسير في الطب الصيني يقوم على وجود قنوات داخلية في الجسم (12 قناة) لا علاقة لها بالدورة الدموية ولا العصبية ولا غيرها (Energetic Channels).

وبالتالي فان الهوميوباثي الذي لم يكتشف إلا منذ حوالي 200 سنة مازال أمامه كثير من الوقت لاكتشافات تقسر فعاليته.

لقد عالجت بهذا النوع من الطب الاطفال والكبار والامراض الوظيفية والامراض العضوية ، وان الحالات الكثيرة للاطفال الصغار التي استجابت للعلاج كثيرة جدا وتؤكد أنه علاج حقيقي وليس وهمي (Placebo) حيث أن الطفل الصغير لايعرف هل أخذ الدواء أم لا. أما الحالات المزمنة للكبار فان النجاح فيها لا يعني فقط تحسن المريض على مستوى أعراض المرض، وإنما أيضا على المستوى العام للمريض وكثيرا ما يأتي المريض ليؤكد أن نشاطه ونومه وشهيته قد عادت إلى الوضع الطبيعي رغم أن الشكاية كانت تتعلق بأمر آخر، وهذا يؤكد أن الرمدي (Constitutional Remedy) تؤدي إلى توازنات داخلية للانسان تجعل أموره تعود إلى المسار الطبيعي.

وأحيانا يأتي المريض لشكايات نفسية كالاكتئاب والقلق وغيرها ثم يستغرب أنه مع تحسن الاكتئاب مثلا قد حصلت له تغيرات فيزيائية في جسمه مثلا: تحسن حب الشباب إلى حد كبير دون استعمال المراهم والادوية التي كان لا يستطيع الاستغناء عنها أو إختفاء بعض الاورام السليمة وغيرها ... والخلاصة أن الهوميوباثي هو علم وفن في نفس الوقت (Science and Art) لمعالجة الامراض الحادة والمزمنة ويمكن إيجاد وصفات سريعة للامراض الحادة، أما المزمنة فانه لا يمكن اختيار الدواء إلا بعد أن تتم دراسة الانسان على ثلاثة مستويات: عقلي وعاطفي وفيزيائي ثم الوصول إلى

ما نسميه الرمدي (Constitutional Remedy) وهذا يحتاج إلى فهم عميق لجذور المشكلة ودراسة مستفيضة باستخدام برامج الكمبيوتر للهوميوباثي.
ولمن يرغب في معلومات أكثر يمكنه حضور دورة تثقيفية من دورات المتابعة العلمية للكبار (Adult and Continuing Education Courses) حيث يأخذ دورة مبسطة عن الهوميوباثي تقدم من خلال دورات الاهتمام العام (General Interest Courses) وسوف أقوم أنا بتدريس هذه الدورة في ميسيساجا في الخريف القادم إن شاء الله.

ضحى الناشف، دكتورة في الطب الطبيعي
أخصائية في الهوميوباثي، ومدرسة في الكلية الكندية للهوميوباثي
Douha_elnachef@hotmail.com